# توضيح القواعد الأربع

يليه

## التوسل الممنوع والمشروع

تأليف

عبد الله بن سليمان آل مهنا

# توضيح القواعد الأربع

يليه

## التوسل الممنوع والمشروع

جَمِيعُ الحُقُوقِ مَحْفُوظَةٌ

الطَّبْعَةُ الأُولَى

١٤٤٧ هـ - ٢٠٢٥م

# توضيح القواعد الأربع

يليه

## التوسل الممنوع والمشروع

تأليف

عبد الله بن سليمان آل مهنا

بسم الله الرحمن الرحيم

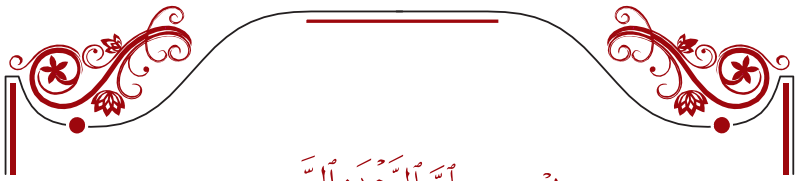

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وصلّىٰ الله وسلّم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فهذا شرح ميسّر لرسالة (**القواعد الأربع**) للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ كنتُ ألقيته درسًا في المسجد في يوم الثلاثاء التاسع عشر من شهر ربيع الأول سنة ثنتين وثلاثين وأربعمائة وألف من هجرة النبي ﷺ في مدينة الرياض، فأحببت أن يكون مطبوعًا ليسهل تناوله والانتفاع به، أسأل الله تعالىٰ أن ينفع به الملقي والقارئ والسامع إنه سميع مجيب.

## المتن

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: **(بسم الله الرحمن الرحيم، أسأل الله الكريم ربّ العرش العظيم أن يتولاّك في الدنيا والآخرة، وأن يجعلك مُبارَكًا أينما كنت، وأن يجعلك ممّن إذا أُعطيَ شكر، وإذا ابتُلي صبر، وإذا أذنب استغفر، فإنّ هؤلاء الثلاث عنوان السعادة)**.

## الشَّرْح

هذه الرسالة الصغيرة تُسمىٰ «القواعد الأربع» لأن المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ ذكر فيها قواعد أربع في أصول الدين.

والمؤلف هو الشيخ «محمد بن عبد الوهاب»[(١)] وهذا الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ عالمٌ كبير ظهر في بلاد نجد يدعو الناس إلىٰ الإسلام وإلىٰ التوحيد، لأن هذه البلاد في زمنه رَحِمَهُ اللَّهُ كان قد غلب علىٰ كثير من الناس فيها الجهل ووُجد عندهم كثير من البدع والشرك والانحرافات مع أنهم يصلّون ويصومون، ولكن معتقدات كثير منهم كانت منحرفة إلىٰ درجة أنهم يُعظّمون القبور والأحجار والأشجار، ويعتقدون في بعض الناس اعتقادات لا تصلح إلا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

كان عملهم كعمل أهل الجاهلية الأولىٰ من ناحية الاعتقادات الجاهلية من التبرك بالأشجار والأحجار، والذبح للقبور وللأموات، وما إلىٰ ذلك من المعتقدات التي تُخرجهم من الإسلام؛ فالإنسان وإن كان قد يقول «**لا إله إلا الله**» ويصلي إلا أنه قد يرتكب العمل الذي يخرجه من الإسلام، ولا يكون بذلك موحدًا بل يكون مُشركًا، وذلك إذا ارتكب شيئًا

(١) ترجمته في: علماء نجد خلال ثمانية قرون للشيخ عبد الله البسام (١/ ١٣٩) ط دار الميمان.

من أنواع وأسباب الرِدة ومن أعظمها الإشراك بالله، وكثيرٌ من الناس يظن أن الشرك إنما يقع من المشركين الأولين الذين لم يكونوا قد دخلوا في الإسلام أصلًا وهذا ليس بصحيح، بل حتىٰ من هو من أهل الإسلام ربما يرتكب بعضًا من الأعمال الشركية التي تخرجه من الإسلام والتوحيد إلىٰ الشرك، مع كونه يصلي لكن صلاته لا تنفعه، ومع كونه يقول: «لا إله إلا الله» لكنه ينقضها فلا تنفعه[١].

وإذا فسد الأصل وهو التوحيد؛ لم تنفع الأعمال الصالحة، وبعض الناس إذا سمع أو قرأ في القرآن ما ذكر ربُّنا من النهي عن الشرك تبادر إلىٰ ذهنه أن المخاطب بذلك المشركون الذين قبل بعثة النبي ﷺ، وهذا خطأ في الفهم، فالقرآن إذن لمن؟ القرآن لنا نحن، ونحن الذين نُخاطب به، نحن الذين نُؤمر بالتوحيد ونُنهىٰ عن الشرك، والواقع يصدّق ذلك أنه وقع في الشرك كثيرٌ ممن ينتسب إلىٰ الإسلام وهو يقول: «لا إله إلا الله» كما سيأتي بيانه إن شاء الله.

والشيخ رحمه الله دعا إلىٰ تصحيح التوحيد فصار يُعلّم الناس، ويأمرهم، وينهاهم، ويهدم القباب التي علىٰ القبور، ويقطع الأشجار التي تعبد، وينهاهم عن الطواف بالأضرحة والاعتقاد

(١) انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد للمؤرخ ابن بشر.

في الأموات، ويعلمهم أن النافع الضار هو الله، وأنه لا يُدعىٰ إلا الله، ولا يستغاث إلا بالله، ولا يُذبح إلا لله.

ومن أجل تعليم الناس ألف الرسائل الصغيرة كهذه وكـ «**الأصول الثلاثة**» وكتاب «**التوحيد**» وعدد من الرسائل الميسرة جدًا حتىٰ تنوَّر الناس ولله الحمد، وصار تعلقهم بالله ﷻ وتركوا البدع والشرك.

وقد تتلمذ علىٰ الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ عدد كبير صاروا علماء كِبار، لهم مؤلفات كثيرة، كما أن للشيخ خصومًا وأعداء اتهموه بتهم كلها باطلة، فيقولون: إنه لا يُحب الأولياء، ولا يُصلي علىٰ النبي ﷺ، وهذا شيءٌ لا يصدّقه الطفل ممن يعرف ويقرأ كتب الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ.

والشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ هو الذي يُعظّم الأولياء ويحبهم ويحترمهم، لكن ليس من تعظيمهم أن يُطاف بقبورهم كما يُفعل في البلاد الإسلامية الآن، وليس من تعظيمهم بناء القباب علىٰ قبورهم، لكن لما اشتدت غربة الإسلام انقلبت المفاهيم عند الناس فاعتبروا البدعة سنة والشرك توحيدًا والغلو تعظيمًا ومحبة، وكل هذا نهىٰ عنه النبي ﷺ وسيأتي بيانه إن شاء الله.

ومن الرسائل النافعة التي كتبها الشيخ هذه الرسالة التي سمّاها «**القواعد الأربع**» ذكر فيها قواعد أربع مهمة جدًا، إذا قرأها الإنسان وفهمها تصوَّر تصورًا عامًا للتوحيد والشرك،

وتصور ما كان عليه الناس قُبيل بعثة النبي ﷺ وماذا كان حالهم؟ ماذا كانوا يعبدون؟ وعرف كيف يُجيب علىٰ من سوّغ انحرافات بعض الناس من المعاصرين، فهي رسالة مهمة.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **(أسأل الله الكريم ربَّ العرش العظيم أن يتولاّك في الدنيا والآخرة)**. **(أسأل الله الكريم)** ابتدأ المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ هذه الرسالة بهذا الدعاء الطيب لطالب العلم ولمن يقرأ هذه الرسالة، فقال: **(أسألُ اللهَ الكريم ربَّ العرشِ العظيم)**، **(أسأل الله)** دعاء، يدعو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لك أنت يا طالب العلم يا أيها المسلم يا أيها المستمع يا أيها القارئ لهذا الكتاب! ثم يتوسل إلىٰ الله تعالىٰ بأسمائه الحسنىٰ.

كيف يتوسل؟ أي يدعو الله عَزَّوَجَلَّ ويذكر في دعائه بعض الأسماء الحسنىٰ لتكون وسيلة تقرّبه إلىٰ الله، لأن الله يقول: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ ثم ماذا ﴿فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]؛ ﴿فَٱدْعُوهُ﴾ الدعاء لمن؟ لله، ﴿بِهَا﴾ يعني: اجعلوا هذه الأسماء الحسنىٰ وسيلة توصلكم إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وتكون سببًا في إجابة الدعاء.

ما هي الأسماء التي توسّل بها المؤلف هنا في دعائه؟

توسل بـ (الكريم) و(الرب) من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ؛ وهذا الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ موصوفٌ بأنه رب العرش العظيم، والعرش مذكور في القرآن والسنة مثل ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [يونس: ٣]، ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى

﴿ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] والعرش في اللغة: سرير الملك، السرير هو الكرسي الضخم عند العرب، يسمونه سريرًا وهو الذي يجلس عليه الملوك غالبًا.

والعرش في اصطلاح الشريعة: سريرٌ ذو قوائم تحمله الملائكة كالقبة علىٰ العالم وهو سقف المخلوقات[(١)].

«**سريرٌ ذو قوائم**» أي له قوائم، قال النبي ﷺ: «**فأكون أول من يفيق فإذا موسىٰ آخذٌ بقائمة من قوائم العرش**»[(٢)].

«**تحمله الملائكة**» قال تعالىٰ: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧]، ملائكة يقال لهم «الكرّوبيون» يحملون العرش.

«**كالقبة علىٰ العالم**» قد وصفه النبي ﷺ وأشار بيده يقببها كما في الحديث قال ﷺ: «**وإن عرشه علىٰ سماواته لهكذا وأشار بيده يقببها**»[(٣)]؛ يقببها أي أن العرش كالقبة علىٰ العالم والعالم كله تحت العرش.

«**وهو سقف المخلوقات**» سقف المخلوقات بمعنىٰ: أن كل المخلوقات تحت العرش والله فوق العرش سبحانه وبحمده

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (٢/ ٢٥) ط دار الرسالة ١٤٣٤هـ.

(٢) أخرجه البخاري (٢٢٨١) ومسلم (٢٣٧٤).

(٣) أخرجه أبوداود (٤٧٢٦).

مستوٍ عليه، أخبرنا بذلك ربنا ﷻ في سبعة مواضع في القرآن ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طٰهٰ: ٥].

والاستواء صفة فعلٍ لله ﷻ ومعنىٰ الاستواء في اللغة العلو والارتفاع علىٰ الشيء، قال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ﴾ [المُؤْمِنُونَ: ٢٨].

قال رحمه الله: **(رب العرش العظيم)**، وصفٌ للعرش بأنه عظيم، قلنا: إن هذا توسل إلىٰ الله في الدعاء بأسمائه وصفاته، وأحسن الدعاء أن يكون مقرونًا بالتوسل إلىٰ الله بأسمائه وصفاته، ولهذا إذا أردت أن تدعو فإنك تتوسل إلىٰ الله بأسمائه، فمثلًا إذا أردت العفو ماذا تقول؟ تقول: «**اللهم إنك عفوٌ تحب العفو فاعفُ عني**» الدعاء هو الكلمة الواحدة «**فاعفُ عني**» هذا هو الدعاء، الذي قبله توسل «**اللهم**» هذا الاسم، اسم الله؛ توسل إلىٰ الله باسمه الأعظم، «الله»، هذا الاسم الذي لا يُطلق إلا علىٰ الله، «اللهم» يعني يا الله.

«**إنك عفو**» [العفو] اسم من أسماء الله «**تحب العفو**» صفة الله أنه يعفو؛ فأنت توسلت إلىٰ الله ﷻ بأسمائه وصفاته: الله، العفو، وصفة العفو التي يفعلها الله ويحبها، ثم تدعو فتقول: «**فاعف عني**» هذا هو التوسل إلىٰ الله ﷻ بأسمائه وصفاته.

وإذا أردت الرزق تتوسل إلىٰ الله باسمه [الرزّاق] وهكذا كل شيءٍ تطلبه من الله تتوسل إليه بما يناسب من أسمائه وصفاته.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **(أن يتولاك في الدنيا والآخرة)** أي يكون الله تعالىٰ وليًا لك ينصرك، ويحفظك، ويؤيدك، قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٧].

وكيف تنال ولاية الله؟ تنال بالإيمان والتقوىٰ فتكون من أولياء الله؛ ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يُونُس: ٦٢] من هم؟ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يُونُس: ٦٣]، فكل من كان مُتقيًا مُؤمنًا فهو ولي لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هذا هو المفهوم، مؤمن متقي لله، يتقي المحارم ويقوم بالواجبات فهذا من أولياء الله.

فإذا أردت أن تكون من أولياء الله فعليك بالإيمان والتقوىٰ، لا ما يتبادر إلىٰ أذهان بعض الناس إذا قيل: فلان ولي، ذهب ذهنه إلىٰ أشخاص مُعينين يُقال لهم: الأولياء، سواءً من الأموات أو من الأحياء كما عند الصوفية يعتقدون فيهم الاعتقادات الباطلة.

وهل ولي الله لا يعصي؟

ولي الله قد تقع منه المعصية، ليس هو بمعصوم، المعصوم هو النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أما غيره من عباد الله ومنهم الأولياء فغير

معصومين، ولكنهم إذا وقعوا في الذنب لم يصروا عليه كما قال الله ﷻ: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥] لم يقل: ولم يفعلوا، وإنما قال: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا۟﴾ بمعنىٰ أن المؤمن مُعرّض للوقوع في الذنب، لكنه كلما أذنب استغفر وتاب ورجع، هذا يعتبر من أولياء الله وإن وقع منه الذنب.

قال رحمه الله: **(أن يتولاك في الدنيا والآخرة)**، هذه دعوة عظيمة أن الإنسان يتولاه الله ﷻ، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: ١١].

قال: **(وأن يجعلك مُباركًا أينما كنت)**، هذه الدعوة الثانية، وهي من أجمل الدعوات، ومن أجمل الهبات من الله أن يجعلك مُباركًا، وإذا جعل الله ﷻ هذا الإنسان مُباركًا بارك الله له في وقته، وفي ماله، وفي علمه، وفي أولاده، وفي زوجته، وفي كل شيء، فالقليل يُبارك الله فيه فيكون كثيرًا، وليس المقصود أن الأموال التي عنده مثلًا عشرة آلاف تتحول إلىٰ عشرين ألفًا! ولكن الله ﷻ قد يبارك فيها لتكفيه وقتًا كثيرًا لما فيها من البركة.

وبعض الناس وقته مبارك بمعنىٰ ينجز في اليوم الواحد أعمالًا وأشغالًا ومهمات كثيرة، وبعضهم وقته منزوع البركة أو قليل البركة فيذهب يومه وما أنتج شيئًا، سبحان الله! ما

الفرق؟ الفرق أن هناك شيء اسمه البركة يجعله الله تعالىٰ في الأوقات والأعمال والأموال.

لكن البركة الذاتية أي في ذات الشخص ليست إلا لمحمد ﷺ، ولا يُقاس عليه غيره من الصالحين والعلماء، أي أن الله تعالىٰ جعل البركة الذاتية في ذات النبي ﷺ، وكان الصحابة رضي الله عنهم يتبركون بما انفصل منه، كعرقه، ويجعلونه من أحسن طيبهم كما أخذته المرأة العجوز التي نام عندها النبي ﷺ[1]، وكانوا يتبركون بفضل وَضوءه إذا توضأ اقتتلوا عليه؛ لأن فيه بركة، وكانوا يتبركون بنخامته ﷺ إذا تنخّم، يأخذها أحدهم ويدلك بها جسده، والنخامة طاهرة، وهكذا يتبركون بشعر النبي ﷺ وبما باشر جسده الشريف ﷺ، ويراهم علىٰ ذلك ويقرهم ولا يُنكر عليهم.

لكن بعد النبي ﷺ لم يتبركوا بأبي بكر رضي الله عنه وهو الأفضل بعد النبي ﷺ، ولا بعمر رضي الله عنه وهو الأفضل بعد أبي بكر، ولا عثمان، ولا علي، ولا الحسن، ولا الحسين رضي الله عنهم، لم يثبت في هذا شيء أبدًا؛ فدل علىٰ أن الصالحين لا يُتبرك بذواتهم، ولهذا يخطئ بعض الناس إذا سلّم علىٰ رجلٍ صالح يمسح علىٰ كتفه ثم يمسح علىٰ وجه نفسه، يظن أن فيه بركة تنتقل، هذا

(١) أخرجه مسلم (٢٣٣١).

لا يجوز؛ فالبركة قد يجعلها الله في علم الإنسان، في ماله، في وقته، في طعامه، في شرابه هذا نعم، أما في ذات الشخص فليس هناك من يُتبرك به بعد النبي ﷺ.

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(أن يجعلك مباركًا أينما كنت)**، من البركة التي تكون في بعض الناس أنه إذا حلّ في مكان نشر الخير، واستفاد الناس منه، وعطف علىٰ الفقراء، وأحسن إليهم وللأيتام، وإن كان عنده علم؛ علَّمَ الناس، أو صار يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر، فصار مباركًا في المكان الذي يحل فيه.

ولهذا قال عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ كما أخبر الله عنه: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مَرْيَمَ: ٣١]، في أي محل يحل يكون مباركًا، قال المفسرون: أي آمرًا بالمعروف وناهيًا عن المنكر[١].

فالمؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ يدعو لك يا طالب العلم أن يجعلك الله مباركًا أينما كنت، قال: **(وأن يجعلك ممن إذا أُعطي شكر، وإذا ابُتلي صبر، وإذا أذنب استغفر)** ما أحسن هذه الكلمات: **(أن يجعلك ممن إذا أُعطي شكر)**، لاحظ أن هذه الأحوال لا ينفك عنها الإنسان أبدًا ما دام حيًّا، إن كان أعطاه الله من

(١) انظر تفسير ابن كثير: (٣/ ٢٢٩).

الدنيا والخير؛ فإن المؤمن يشكر، وإن ابتلاه الله بالفقر والمصائب فإن المؤمن يصبر، وإن وقع في الذنب فإن المؤمن يستغفر، فلا أحد يخرج عن هذه الأحوال الثلاثة.

وبعض الناس لا يشكر نعم الله عليه، فإذا أعطاه الله تعالىٰ النعم كفر بها وطغىٰ، قال تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ﴾ [العَلَق: ٦]، متىٰ؟ ﴿أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العَلَق: ٧]، فإذا رأىٰ نفسه غنيًا صار عنده طغيان وكبر وغرور، والعكس هو الصحيح فالواجب إذا أعطاك الله ﷻ المال والدنيا عليك أن تتواضع وأن تشكر لربك.

قال: **(وإذا ابُتلي صبر)**، ابُتلي بأي شيء؟ قد يُبتلىٰ الإنسان بالفقر فعليه أن يصبر، قد يُبتلىٰ بالمرض فعليه أن يصبر، قد يُبتلىٰ بمصيبة من الأقدار المُؤلمة، فعليه أن يصبر، لأنه ما ينفك عن هذه الأحوال، والسلاح الذي معه هو سلاح الصبر، ولهذا قالوا: الصبر صارم لا ينبو، وجوادٌ لا يكبو.

قال: **(وإذا أذنب استغفر)**، فإن الإنسان مُعرض للذنب ولابد، قال النبي ﷺ: «**والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقومٍ يذنبون فيستغفرون فيغفر الله لهم**»[(١)]، هذا بعض الناس يفهمه فهمًا خاطئًا، يظن أن فيه تسهيلًا للذنوب،

(١) أخرجه مسلم (٢٧٤٩).

والواقع ليس كذلك، ولكن فيه ذكر الواقع الذي جبل عليه الإنسان، وهو أن الإنسان ضعيف، تنساق نفسه للمعصية وللحرام وللشهوة، لكن حال المؤمن إذا أذنب استغفر؛ فغفر الله له.

فإذا صار الإنسان إذا أذنب؛ يُقبل علىٰ الله، ويعتريه حالة من الحزن والندم؛ دل علىٰ أنه علىٰ خير، لكن إذا أذنب فتمادىٰ وليس في نفسه أنه عمل خطئًا؛ فهذه هي المصيبة، ولهذا من نعمة الله أنه جعل الاستغفار ماحيًا للذنوب، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٣٥]، يعني بالذنوب ﴿ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥]، هذه صفة أولياء الله.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (**فإن هؤلاء الثلاث عنوان السعادة**)، إذا عمل بها الإنسان: الشكر، والصبر، والاستغفار، تمت له السعادة في الدنيا، ليست السعادة جمع المال، ولكن السعادة أن يشكر ويصبر ويستغفر.

## المتن

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **(اعلم أرشدك الله لطاعته أن الحنيفيّة ملّة إبراهيم أن تعبد الله وحده مخلصًا له الدين، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذَّارِيَاتِ: ٥٦]، فإذا عرفتَ أن الله خلقك لعبادته، فاعلم أن العبادة لا تُسمىٰ عبادةً إلا مع التوحيد، كما أن الصلاة لا تُسمىٰ صلاةً إلا مع الطهارة، فإذا عرفت أن الشرك إذا خالط العبادة؛ أفسدها وأحبط العمل، وصار صاحبه من الخالدين في النار؛ عرفت أن أهم ما عليك: معرفةُ ذلك؛ لعل الله أن يُخلصك من هذه الشبكة وهي الشرك بالله الذي قال الله تعالىٰ فيه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النِّسَاءِ: ٤٨])**.

## الشَّرْح

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **(اعلم أرشدك الله لطاعته)** اعلم: فعل أمر فهو حث علىٰ العلم بصيغة الأمر، ولهذا -كما تقدم- أمر رُّبنا عَزَّوَجَلَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أيضًا بالعلم فقال: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [مُحَمَّدٍ: ١٩]، يعني تعلم، تعلم هذه الكلمة ومدلولها ومعناها.

وهنا المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ يقول لك: يا طالب العلم يا مسلم! اعلم أرشدك الله لطاعته، والمؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ عباراته أكثرها مأخوذة من الكتاب والسنة.

قال: **(اعلم أرشدك الله)**، أرشدك، دعاء لك بالرُّشد وهو أن طالب العلم أو السامع أو القارئ يَرشُد، لكن يَرشُد بأي شيء؟ يرشد بالعلم والعمل.

وهل العلم يقود إلىٰ الرُشد؟ نعم العلم يقود إلىٰ الرُّشد، وما هو الرُّشد؟

الرُّشد ضد الغي، قال تعالىٰ ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، فجعل الله ﷻ الغي قسيمًا للرُّشد، الغي يعني الغواية، والرشد يعني الهداية، قال تعالىٰ: ﴿وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا﴾ [الأعراف: ١٤٦]، فالرشد يُقابل الغي.

فالذي يدل علىٰ الرشد والهداية هو العلم، علم الكتاب والسنة، ولهذا لما رحل موسىٰ عليه السلام لمقابلة الخضر والتعلم منه ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا﴾ [الكهف: ٦٦]، أي حتىٰ أسترشد منك، حتىٰ اهتدي، فدل علىٰ أن الرُّشد والهداية يكون بالعلم، لهذا المؤلف رحمه الله اختار هذه الكلمة، أرشدك الله لطاعته.

**(أن الحنيفيّة)**، الحنيفيّة **(ملة إبراهيم)** فالحنيفيّة وصف لملة التوحيد وهي **(أن تعبد الله مخلصًا له الدين)** وسُميت حنيفيّة لأن الحنَفَ في اللغة هو الميل[1]، فالحنيف مائل عن الشرك إلىٰ التوحيد.

---

(١) لسان العرب (٩/ ٥٧).

وإمام الحنفاء هو إبراهيم عليه السلام، فقد مال عن طريقة قومه، وسلك سبيل الحق، وحقق التوحيد، ولم يلتفت لكثرة المخالفين له، فإن أهل الباطل كثير قال تعالىٰ: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]، ﴿أَكْثَرَ﴾ أفعل تفضيل، لاحظ قوله تعالىٰ ﴿يُضِلُّوكَ﴾ فهم في الأصل ضالون، ويسعون أيضًا إلىٰ إضلال الناس، وعرفنا أنهم ضالون من قوله: ﴿يُضِلُّوكَ﴾، فكونهم يُضلون الناس دلالة علىٰ أن فعلهم (الإضلال) مسبوقٌ بضلالٍ في أنفسهم.

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣]، فأكثر الناس غير مؤمنين ولهذا ينبغي للإنسان أن يعلم فضل الله عليه بالهداية أنه حنيف مسلم، قد ترك أهل الباطل في طريقهم إلىٰ الشرك والباطل وانحرف عنهم فصار حنيفًا، وهذه صفة أولياء الله الموحدين أنهم لا ينساقون وراء التيارات، إنما يتبصّرون، ينظرون هل هذا حق أو باطل؟ صواب أو خطأ؟ إيمان أو كفر؟ لا يكون المرء إمّعة، لكن يتأمل وينظر هل هذا العمل يحبه الله؟ هل يُوافق شرع الله أو يخالفه؟

ولا تقل: الناس كلهم يفعلون ذلك وأنا معهم! قال ﷺ: «**لا تكونوا إمَّعة، تقولون: إن أحسن الناس أحسنَّا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطّنوا أنفسكم: إن أحسن الناس أن تُحسنوا، وإن**

أساؤوا فلا تظلموا»[(١)].

ولهذا قال الشاعر:

الحر من خرق العادات منتهجًا
نهج الصواب وإن جافىٰ الجماعات

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (أن تعبد الله . . .).

نسبت الحنيفيّة إلىٰ إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ تكريمًا له، كما قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٣]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الحج: ٧٨]، فملّة: منصوب علىٰ الإغراء، يعني استمسكوا بملة أبيكم إبراهيم.

والتوحيد ملة جميع الرسل من آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلىٰ محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولكن إبراهيم صار إمامًا عظيمًا في الدين لما قدمه من التضحيات لله تعالىٰ مما هو معلوم، فأكرمه الله بأن نسب إليه هذا الدين العظيم ملة إبراهيم، لهذا إذا قيل: الحنيفيّة، انصرف إلىٰ أنه دين إبراهيم.

وإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ شخصيّة عظيمة، ويعتبر الرجل الثاني في العالم بعد محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مع أن محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ذريته، فإن إبراهيم لما فرغ من بناء البيت دعا دعوة عظيمة في مكان فاضل بعد

(١) أخرجه الترمذي (٢٠٠٧).

قربة إلىٰ الله وهي بناء بيته، فقال: ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ﴾، يعني في ذريته وذرية ابنه إسماعيل ﴿رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩]، فإسماعيل الذي نشأ في مكة، وساعد إبراهيم في بناء البيت لم يكن من ذريته نبي إلا محمد ﷺ، فاستجاب الله دعوة إبراهيم لما فرغ من بناء البيت بعد دهور متطاولة.

ولهذا سُئل النبي ﷺ فقيل له: ما كان أوّل بدء أمرك؟ قال: «**دعوة أبي إبراهيم**»، يعني أنا من أثر دعوة أبي إبراهيم «**وبشرىٰ عيسىٰ**»، قال تعالىٰ: ﴿وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ﴾ [الصف: ٦] قال «**ورأت أمي أنه يخرج منها نورٌ أضاءت منه قصور الشام**»(١).

فلا يحقر الإنسان الدعاء، فقد يستجاب لك، ولكن بعد أزمنة طويلة كما حصل لإبراهيم عليه السلام.

قال رحمه الله: **(أن تعبد الله وحده مخلصًا له الدين)** قوله: **(وحده)** تأكيد للتوحيد، و**(مخلصًا له الدين)** تأكيدٌ ثانٍ، قال تعالىٰ: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ [الزمر: ٣]، والدين الخالص يعني غير مشوب بشيءٍ من الشرك، فالله عز وجل لا يقبل من الدين إلا ما كان له خالصًا وابُتغي به وجهه سبحانه وتعالى، أما العمل المشوب بالشرك

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢٢٢٦١)

فهذا لا يقبله الله، ولا يريده، ولا يحبه، ويُبطله أي يجعله هباءً.

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، هذه الآية تُبين لك لماذا خُلقت؟ بل لماذا خُلق جميع الجن والإنس؟ من آدم عليه السلام إلىٰ هذه الساعة إلىٰ أن تقوم الساعة، لماذا خُلقوا؟ ومجيئ [ما] النافية ثم [إلا] بعدها هذا يفيد الحصر، أي ليس هناك قصدٌ وغرضٌ وحكمةٌ من خلق الثقلين إلا عبادة الله سبحانه وتعالىٰ.

والجن هذا العالم الذي لا نراه هم ذرية إبليس نعوذ بالله من شره ونلعنه بلعنة الله، ومن ذريته أُناس كفرة وأُناس مؤمنون، كما أن من ذرية آدم أيضًا كفرة ومؤمنين، الجميع كلهم خلقهم الله لعبادته ليعبدوه، فاللام هذه ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾ للتعليل، يعني ما هي علة الخلق؟ علة الخلق: تحقيق عبادة الله سبحانه وتعالىٰ، قال ابن عباس رضي الله عنهما: (معنىٰ يعبدون يوحدون).

قال رحمه الله: **(فإذا عرفت أن الله خلقك لعبادته فاعلم أن العبادة لا تُسمىٰ عبادة إلا مع التوحيد)** أي أن الإنسان لو كان يعمل العبادة ويصلي ويصوم، ولكنه غير موحّد فإن عبادته لا تنفعه؛ لأن الأصل الذي تُبنىٰ عليه العبادات غير موجود وهو التوحيد.

**(كما أن الصلاة لا تُسمىٰ صلاةً إلا مع الطهارة)** هذا مثال يضربه الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ كما أن الصلاة لا تُسمىٰ صلاة إلا مع الطهارة، فلو أن إنسانًا لم يتوضأ وقام يُصلي، هل فعله هذا يُسمىٰ صلاة؟ لا يُسمىٰ صلاة لأنه لم يكن متطهرًا.

إذا كانت الصلاة لا تصح إلا مع الطهارة، فما بالك بالتوحيد؟! لا شك أن التوحيد أهم وأعظم، ولهذا كل أعمال المشركين هباء، لا قيمة لها، لا ينتفعون بها أبدًا، مع أنهم يصلون، فالنصارىٰ لهم عبادات، لهم صلوات، ولهم صدقات، لكن ليست بشيء؛ لأن الأصل مفقود وهو التوحيد، قال تعالىٰ ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا﴾ [النور: ٣٩] وقال تعالىٰ ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت كالحدث إذا دخل في الطهارة)**، إذا كان صاحب العبادة في الأصل موحدًا ثم وقع في الشرك فسدت، كالحدث إذا دخل في الطهارة، لكن إذا كان صاحبها مشركًا في الأصل، فهذه لا تسمىٰ عبادة كما تقدم.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فإذا عرفت أن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها وأحبط العمل وصار صاحبه من الخالدين في النار؛ عرفت أن**

**أهم ما عليك هو: معرفة ذلك، لعل الله أن يُخلصك من هذه الشبكة وهي الشرك بالله، الذي قال الله تعالىٰ فيه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النِّسَاء: ٤٨]).**

شبّه المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ الشرك بالشبكة، وهي التي تصطاد بها الطيور، فإذا وقع الطائر فيها هلك، وهو تشبيه يدل دلالة واضحة علىٰ المراد، فإن من وقع في الشرك الأكبر هلك إذا لم يتب، وذلك أنه لا يُغفر، وموجب للخلود في النار أعاذنا الله منها، وأنه يحبط جميع الأعمال، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الزُّمَر: ٦٥] وقال سبحانه: ﴿وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

## المتن

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وذلك بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله تعالىٰ في كتابه: القاعدة الأولىٰ: أن تعلم أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مُقرون بأن الله تعالىٰ هو الخالق الرازق المدبر، وأن ذلك لم يُدخلهم في الإسلام).**

## الشَّرْحُ

يتبيّن لك خطر الشرك وأهمية الحذر منه بأربع قواعد:

الأولىٰ: أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ، قاتلهم من أجل كفرهم، وهم يُقرون بأن الله تعالىٰ هو خالقهم ورازقهم وهو الذي يُحيي ويُميت، وهذا اعتقاد حق بلا شك، كل مسلم يعتقد أن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت المدبر . . . إلىٰ آخره، فهل هذا الاعتقاد نفع هؤلاء الكفار وعصم دمائهم وأموالهم؟

الجواب: لا، لم ينفعهم هذا الاعتقاد وهذه المعرفة، فدل علىٰ أن التوحيد الذي بُعث به الرسول ﷺ، بل وبُعثت به الرسل كلهم، ليس هو الإقرار بربوبية الله فقط أي ليس هو الإقرار بأن الله الخالق الرازق المدبر المحيي . . .

هذه الأفعال التي نُسميها توحيد الربوبية، هي من ربوبية الله، الرب هو الخالق، الرازق، المحيي، المُميت، المدبر،

المالك، المتصرف، هذا يُسمىٰ توحيد الربوبية، يعني أن تعتقد أن الرب الذي يفعل هذه الأشياء واحد وهو الله ﷻ.

هذا التوحيد في الربوبية ما انتفع به الكفار المشركون الذين بُعث فيهم ﷺ، لأنهم كانوا يقولون ذلك، ومع ذلك قاتلهم النبي ﷺ، وحكم بكفرهم، قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ [يُونُس: ٣١]، إذا سألتهم يا محمد! عن هذه الأفعال العظيمة من يفعلها؟ فسيقولون: الله، فلا إشكال عندهم فيما يتعلق بربوبية الله، لكن لما دعاهم إلىٰ الإخلاص في عبادة الله تعالىٰ الذي هو معنىٰ **لا إله إلا الله** امتنعوا وقالوا ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ﴾ [سُورَةُ صٓ: ٥].

فالخصومة بين الرسل وأممهم في التوحيد الذي هو إخلاص العبادة لله، الذي يُسمىٰ توحيد الأُلوهية، فمحمد ﷺ كان يدعوهم إلىٰ إخلاص العبادة لله بمعنىٰ: ألا يُعبد غير الله، لا يكون شيءٌ من العبادة لأصنامكم، ولا لأمواتكم، ولا لأشجاركم، ولا لأحجاركم أبدًا، لا يُذبح لها، ولا يُطاف بها، ولا يُستغاث بها، ولا يُنذر لها، وإنما يكون هذا كله لله تعالىٰ.

قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ

بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١-٢٢]، تعلمون ماذا؟ تعلمون أنه هو الذي يفعل هذه الأشياء العظيمة التي أنتم تُقرون بها ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا﴾ فهم يؤمنون بهذه الأشياء، ومع ذلك لا يُخلصون التوحيد لله ﷻ.

ففهمنا الآن القاعدة الأولىٰ، وتصورنا ما هو حال المشركين الأولين فيما يتعلق بربوبية الله؟ أنهم يؤمنون أن الله خالقهم، ورازقهم . . . إلىٰ آخره، ماذا نستفيد من هذه القاعدة؟

نستفيد من هذا: أنك ربما تجد من يفعل ذلك من أهل الإسلام، من يفعل مثل أفعال الجاهلية الأولىٰ، يدعو غير الله، يذبح للأموات، ينذر لغير الله، فإذا قلت له: كيف تفعل هذا؟ هذه لا تنفع ولا تضر، قال لك: أنا أعرف أن الذي ينفع ويضر هو الله، وأنه هو الخالق، الرازق، لكن أنا مسلم أصلي، فنقول له هذا الاعتقاد وهذه الصلاة لا تنفعك، لأنك تنقض هذا الاعتقاد بما تفعله من الإشراك بالله، فعملك كعمل الجاهلية الأولىٰ، يُؤمنون بربوبية الله ولهم صلوات وصدقات، ولكنهم يُشركون مع الله في الأُلوهية، ولهذا قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]، فإيمانهم بالله هو توحيد الربوبية، يؤمنون بالله بتوحيد الربوبية، ويُشركون مع الله في توحيد الأُلوهية.

## المتن

(القاعدة الثانية: أنهم يقولون: ما دعوناهم وتوجهنا إليهم إلا لطلب القربة والشفاعة. فدليل القربة قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ﴾ [الزمر: ٣]، ودليل الشفاعة في قوله تعالىٰ: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨]، والشفاعة شفاعتان: شفاعة منفيّة، وشفاعة مثبتة، فالشفاعة المنفية: ما كانت تُطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤]. والشفاعة المثبتة: هي التي تُطلب من الله، والشافع مكرمٌ بالشفاعة، والمشفوع له من رضي الله قوله وعمله بعد الإذن، كما قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]).

## الشَّرح

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **(القاعدة الثانية: أنهم يقولون)** أي المشركون يقولون: **(ما دعوناهم وتوجهنا إليهم إلا لطلب القربة والشفاعة)**، ما دعوناهم وتوجهنا إليهم، الضمير يعود على الأموات الذين يدعونهم ويعبدونهم من دون الله.

لأن أنواع المعبودات عند المشركين كثيرة، كما سيذكرها المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ منهم من يعبد الأولياء، ومنهم من يعبد الأنبياء، ومنهم من يعبد الصالحين، فإذا قيل لهم: كيف تدعون هؤلاء ولا تدعون الله عَزَّوَجَلَّ؟ أو تدعونهم مع الله عَزَّوَجَلَّ وأنتم تعلمون أن الدعاء يجب أن يكون خالصًا لله، وتعلمون أن الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]؟

فكان جوابهم ماذكره المؤلف بقوله: إنهم يقولون: **(ما دعوناهم وتوجهنا إليهم إلا لطلب القربة والشفاعة)**، القربة يعني: من أجل أن يقربونا منزلةً إلى الله والشفاعة: أن يشفعوا لنا عند الله.

ومعنى ذلك: أنهم يقولون: أننا لا نعتقد أن هؤلاء الأولياء والصالحين يخلقون مثل الله، ويرزقون مثل الله، ولكن نعتقد أنهم أُناس صالحون لهم قدرٌ عند الله وجاه، فنطلب منهم وهم يطلبون لنا من الله، فقاسوا قياسًا فاسدًا، قاسوا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على

ملوك الدنيا، أو علىٰ أصحاب الجاه والأموال في الدنيا، فإن هؤلاء لا تصل إليهم إلا بطريقة خاصة حتىٰ تستطيع أن تدخل عليهم أو تقدم طلبك إليهم، كأن يكون هناك من يشفع لك، أي يتوسط لك ممن هو مُقرب من هذا الملك أو صاحب المال، فيكون وسيطًا بينك وبينه، يُقربك إليه، يُدنيك منه، يُدخلك عليه، أو يشفع لك عنده.

فاعتبروا رب العالمين ﷻ مثل الملوك، واعتبروا أنفسهم مثل الفقراء المحتاجين، والوسطاء هؤلاء هم الأنبياء والأولياء والأموات الذين يدعونهم من دون الله، وهذا قياسٌ مع الفارق، فإن الله ﷻ لا يحتاج إلىٰ من يشفع عنده، ليس كملوك الدنيا، بل قال للناس كل الناس: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غَافِر: ٦٠]، لم يجعل بيننا وبينه أي حجاب ولا واسطة وقال ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البَقَرَة: ١٨٦].

قال رحمه الله: **(فدليل القربة . . .)** بيّن رحمه الله الدليل علىٰ قصد المشركين بعبادتهم غير الله التقرّب إليه، فذكر قوله تعالىٰ ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ [الزُّمَر: ٣]، يعني: من دون الله أولياء، ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ﴾، يعني أنهم يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾، يعني منزلة ودرجة إلىٰ الله، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزُّمَر: ٣].

هذا كذب علىٰ الله، من قال: إن الله ﷻ يحتاج إلىٰ واسطة؟ من قال: إن الله ﷻ يحتاج إلىٰ من يُدنيك منه؟ هو تعالىٰ يسمع كل الأصوات بجميع اللغات ﷻ لا تخفىٰ عليه أية لغة ولا أي صوت، هو الذي خلق الناس كلهم، ولغاتهم وأصواتهم، فلا يحتاج إلىٰ وسيط بينك وبينه يُدنيك ويُقربك إليه ﷻ.

فلهذا من زعم ذلك؛ فقد كذب علىٰ الله، ولهذا قال في ختام الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ﴾، كاذب علىٰ من؟ كاذبٌ علىٰ الله، وكل الشرك بالله ﷻ كذب علىٰ الله، فالله ﷻ ما أذن للمشركين أن يفعلوا ما فعلوا، هم يكذبون علىٰ الله، ولهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (الشرك مبناه علىٰ الإفك)[1]، يعني الكذب، وقال إبراهيم لقومه: ﴿أَئِفۡكًا ءَالِهَةٗ دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ [الصَّافَّات: ٨٦]، تكذبون علىٰ الله؟ وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ﴾ [الأَعْرَاف: ١٥٢] فسماهم مفترين.

والمقصود من هذا: أن ربَّنا ﷻ أخبرنا أن دعواهم وقولهم إذا قيل لهم: لماذا تفعلون ذلك وتعبدونهم من دون الله؟ قالوا: ليقربونا إلىٰ الله زلفىٰ، فسمىٰ الله عملهم عبادة لهم فقال:

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٧٤٩) تحقيق: ناصر العقل ١٤٠٤هـ.

﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ﴾، وهم ماذا يعملون عند الصالحين والأنبياء؟ ينذرون لهم ويدعونهم ويذبحون لهم، والدعاء الذي هو أجل العبادات، يجعلونه لغير الله، يدعون الأموات، والأولياء والصالحين، ويذبحون لهم، والذبح عبادة عظيمة، قال تعالىٰ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾ [الكوثر: ٢]، فقرنه بالصلاة.

وذكر دليل الشفاعة، وهو قوله تعالىٰ: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ﴾ [يونس: ١٨]، ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ دون الله أي غير الله، أو أن كل مخلوق هو دون الله، والخالق هو الأعلىٰ ﷻ.

ويُفهم منه: أنه لا يُعبد شيء غير الله أبدًا، كما سيأتي، ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [النساء: ٣٦]، فشيئًا عام يعم أي شيء، لا ملك، ولا نبي، ولا ولي، ولا حجر، ولا شجر، قال تعالىٰ: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ﴾ [يونس: ١٨]، إذن ما الفائدة من هذا المعبود؟

هذا الذي لا يضر ولا ينفع ما الفائدة منه؟ الذي يُعبد، يُعبد إما لطلب النفع أو لدفع الضُر، لكن هذه المعبودات التي تُعبد أثبت الله ﷻ أنها لا تنفع ولا تضر، يعني لا تنفع من عبدها، ولا تضر من ترك عبادتها، أما الأول فواضح لا تنفع من عبدها، ﴿إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ﴾ [فاطر: ١٤]، ومعنىٰ لا يضر، أي لا يضرك لو تركت

عبادته، وهذا رد علىٰ المتعلقين بالمقبورين الذين يزعمون أنك إن لم تُقدم شيئًا لهذا الولي فإنه يُصيبك بضرر، كل هذا باطل، كل هذه المعبودات لا تنفع ولا تضر، لا تنفع من عبدها، ولا تضر من ترك عبادتها.

﴿وَيَقُولُونَ﴾ دعواهم في هذه العبادة ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، أي نحن نتخذهم شفعاء ووسائط بيننا وبين الله، نحن مساكين ما لنا قدر عند الله، فنحتاج إلىٰ من يشفع لنا إلىٰ الله، وهؤلاء لهم جاه عند الله، أنبياء، ملائكة، أولياء، فنتخذهم وسائط بيننا وبين الله شفعاء، فالله ﷻ رد هذا الأمر وهذه الدعوىٰ بآيات كثيرة سيأتي ذكر بعضها إن شاء الله.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **(والشفاعة شفاعتان: شفاعةٌ منفية وشفاعةٌ مثبتة)**.

شرع المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان أنواع الشفاعة قال: **(الشفاعة شفاعتان: شفاعة منفيّة)** بمعنىٰ باطلة وغير مقبولة، و**(شفاعة مثبتة)** أي صحيحة مقبولة.

**(فالشفاعة المنفيّة: ما كانت تُطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله)**، فهي شفاعة باطلة إذا طلبت ممن لا يملكها والذي يملكها هو الله تعالىٰ، قال تعالىٰ: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤]، فهذا المشرك الذي يذهب إلىٰ قبر

الولي والنبي ويصيح وينادي ويهتف، اشفع لي يا فلان عند الله، هل هي منفية باطلة أو مقبولة؟

قبل أن تنظر إلىٰ الشفاعة، انظر إلىٰ صيغة العبارة، يا رسول الله اشفع لي! هذه الصيغة نداء، والنداء هو الدُعاء، ومعناه أنه يطلب من النبي ﷺ، والنبي ﷺ مات، فهذا النداء يُعتبر دعاء لغير الله، دعاء للنبي ﷺ، والنداء دعاء بدليل قوله تعالىٰ عن زكرياء عليه السلام ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [مريم: ٣-٤] فسمىٰ النداء دعاءً.

قال: (**والدليل قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ﴾** [البقرة: ٢٥٤])، أي أن هذا اليوم لهوله وشدته لا أحد يبيع نفسه ويشتريها من أحد بمال، أو يُفادي نفسه بمال ﴿وَلَا خُلَّةٌ﴾، وهي الصداقات فإنها لا تنفع، كلٌ يقول: نفسي نفسي، ﴿وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾، يعني هؤلاء المشركون ما تنفعهم الشفاعة، كما قال الله ﷻ: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨] ولهذا قال: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

فالشفاعة الأولىٰ هي الشفاعة المنفيّة، هذه شفاعة المشركين التي يطلبونها من معبوداتهم في الدنيا.

هنا لابد أن نعرف شروط الشفاعة حتىٰ ننظر في صحة شفاعة المشركين من عدمها، وشروطها كما في القرآن شرطان:

**الأول**: الإذن للشافع أن يشفع.

**والثاني**: الرضا عن المشفوع له.

أما الإذن فدليله، ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، أي لا أحد يشفع عند الله إلا بإذنه.

والرضا قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

وإذا عرفنا شروط الشفاعة فلابد أن نعرف أركانها حتىٰ تتضح لنا المسألة، فأركان الشفاعة ثلاثة:

١. شافع.

٢. مشفوع له.

٣. مشفوع عنده.

**الشافع**: هو الذي يشفع إلىٰ الله -بزعمهم- سواءً كان نبيًا أو وليًا.

**المشفوع له**: من يدعوه ويطلبه الشفاعة.

**المشفوع عنده**: وهو الله تعالىٰ.

فننظر إلىٰ عمل المشركين، ونُطبق عليه الشروط والأركان حتىٰ نعرف هل هي شفاعة منفية أو مثبتة:

فهذا شخص يدعو البدوي[١] ليشفع له عند الله.

الشافع: البدوي.

المشفوع له: الشخص.

المشفوع عنده: الله تعالىٰ.

فننظر هل تحققت هذه الشروط في الشفاعة أم لم تتحقق؟

فشرط الإذن للشافع أن يشفع: هذا البدوي الميت في قبره هل أخذ إذنًا من الله تعالىٰ أن يشفع للمشفوع له؟ لا يمكن أن يأخذ إذنًا لأنه ليس نبيًا ينزل عليه الوحي ليأذن له، وهو أيضًا ميت لا يشعر بشيء.

إذن الشرط الأول وهو الإذن لم يتحقق، فإذا لم يتحقق لا نحتاج ننظر في الشرط الثاني، لكن تنزلًا مع الخصم نستمر.

فالشرط الثاني: وهو الرضا عن المشفوع له، ومن هو المشفوع له؟ هو هذا الشخص الذي يدعو البدوي، وكأن البدوي يسمع دعاءه ويعلم حاجته، والله تعالىٰ يقول عن الأموات: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ﴾ [فاطر: ١٤] فهل ربنا ﷻ يرضىٰ عن المشركين؟

---

(١) متصوف مخرف توفي سنة ٦٧٥هـ، الأعلام للزركلي (١/ ١٧٥).

الجواب: لا يرضىٰ عنهم، بل عملهم أعظم الجرائم وأكبر الكبائر وهو الإشراك بالله، قال تعالىٰ: ﴿إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ﴾ [الزمر: ٧]، فالله لا يرضىٰ الكفر ولا يحب الكافرين.

إذن هذه شفاعة باطلة منفية لم تتحقق فيها الشروط المطلوبة لصحة الشفاعة.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **(والشفاعة المثبتة هي التي تُطلب من الله، والشافع مُكرم بالشفاعة، والمشفوع له من رضي الله قوله وعمله بعد الإذن، كما قال تعالىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥])**.

الشفاعة المثبتة أي الصحيحة الجائزة، تُطلب من الله، والشافع هذا الوسيط مُكرم من الله، لقدره وجاهه عند الله ﷻ يُكرمه الله ﷻ يوم القيامة بأن يقبل شفاعته، والمشفوع له من رضي الله قوله وعمله بعد الإذن.

والشفاعة ثابتة عندنا نحن أهل السنة، والشفاعة حق، وأنكر الشفاعة المعتزلة والخوارج علىٰ اعتبار أنهم يُكفرون صاحب الكبيرة، فلا تنفعه الشفاعة.

لكن أحاديث الشفاعة متواترة، لا تقبل الشك.

قال الناظم:

مما تواتر حديث من كذب
ومن بنىٰ لله بيتًا واحتسب
ورؤية شفاعة والحوضُ
ومسح خفينِ وهذي بعضُ[١]

وهي لمن؟ قال النبي ﷺ: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**»[٢]، فالذي ينتفع بشفاعة النبي ﷺ هو المقصر الواقع في الكبائر هو الذي ينتفع يوم القيامة بشفاعة النبي ﷺ، فالنبي ﷺ يشفع لأهل الكبائر، ويشفع عدة شفاعات، منها الشفاعة العُظمىٰ لتخليص أهل الموقف مما هم فيه من الكرب، كما هو معروف في حديث الشفاعة الطويل.

يذهبون إلىٰ آدم فيعتذر، ثم يذهبون إلىٰ نوح فيعتذر، ثم إبراهيم، ثم موسىٰ، ثم عيسىٰ، ثم محمد ﷺ فيقول: «**أنا لها أنا لها**»، يطلبون منه أن يشفع لهم إلىٰ الله أن يخلصهم من هذا الموقف، فيذهب النبي ﷺ إلىٰ الله، ثم يسجد بين يديه، قال

---

(١) عزاه الكتاني في نظم المتناثر إلىٰ الشيخ التلودي في حواشيه علىٰ الصحيح. انظر نظم المتناثر من الحديث المتواتر لأبي الفيض الكتاني (ص٢٢) ط دار الكتب العلمية ١٤٠٣هـ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٣٩).

النبي ﷺ: «**ويفتح الله عليَّ من محامده**»، يعني يحمد الله ويُثني عليه في سجوده بين يدي الله ﷻ يفتح الله عليه من محامده.

ثم يقول الله ﷻ: «**يا محمد! ارفع رأسك وقل يُسمع وسل تُعط واشفع تُشفع**»، هذا هو الإذن، الإذن «**واشفع تُشفع**».

فيأذن الله له بالشفاعة فيقول: «**واشفع تشفع**»، فيقول النبي ﷺ: «**يا رب أمتي أمتي**»[(١)].

وهناك أيضًا شفاعات للنبي ﷺ بدخول أهل الجنة الجنة، نسأل الله أن نكون منهم، وشفاعة لمن استحق دخول النار من الموحدين أن لا يدخلها، وشفاعة في رفع درجات بعض أهل الجنة، وهناك أيضًا من يشفع كالأفراط يشفعون لآبائهم وأمهاتهم، إلىٰ أنواع أخرىٰ من الشفاعات، منها شفاعة النبي ﷺ لعمه أبي طالب، وهذه خاصة بالنبي ﷺ، لأن أبا طالب عم النبي ﷺ وإن كان مشركًا، إلا أنه كان يحوط النبي ﷺ ويحميه من أعدائه، فربنا ﷻ أكرم محمدًا ﷺ بأن خفف عذاب عمه أبي طالب لما قدمه للنبي ﷺ، وإن كان أبو طالب مشركًا لا يرضىٰ الله عنه، لكن هذه شفاعةٌ خاصة مستثناة للنبي ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥١٠).

قال رحمه الله: (قال تعالىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥])، هذه الشفاعة التي في الآخرة يوم القيامة هي التي تنطبق عليها شروط الشفاعة، فإذا نظرت في شفاعات أهل الدنيا الذين يزعمون أن أولياءهم يشفعون لهم، وأنهم يدعونهم ويذبحون لهم من أجل أن يشفعوا لهم، عرفت أنها شفاعة باطلة لا تنطبق عليها الشروط التي ذكرها الله ﷻ حتىٰ النبي ﷺ في الدنيا بعد موته لا نسأله الشفاعة.

لكن في حياته كان الصحابة رضي الله عنهم يسألونه الدعاء فيدعوا لهم، ادع الله أن يجعلني منهم، قال: «أنت منهم»[1]، إلىٰ أحاديث كثيرة، لكن بعد موت النبي ﷺ لا نطلب منه الشفاعة، وإنما نطلب الشفاعة من الله، فنقول: اللهم ارزقنا شفاعة النبي ﷺ، فإذا قلنا هذا فهل نحن ندعو الله أو ندعو الرسول ﷺ؟ الجواب: ندعو الله ولا ندعو الرسول ﷺ، أو تقول: اللهم شفع فينا نبيك محمدًا ﷺ يوم القيامة، تدعو الله ﷻ، هذا الفرق بين طلب الشفاعة من الله كما نفعله ونقوله، وطلب الشفاعة من الأموات والأولياء كما يفعله الجهلة والمشركون.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٠٥) ومسلم (٢٢٠).

## المتن

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (القاعدة الثالثة: أن النبي ﷺ ظهر علىٰ أُناسٍ متفرقين في عباداتهم منهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد الأنبياء والصالحين، ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار، ومنهم من يعبد الشمس والقمر، وقاتلهم رسول الله ﷺ ولم يُفرق بينهم، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣]، ودليل الشمس والقمر قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧]، ودليل الملائكة قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا﴾ [آل عمران: ٨٠]، ودليل الأنبياء قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦]، ودليل الصالحين قوله تعالىٰ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧]، ودليل الأشجار والأحجار قوله تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٩-٢٠].

وحديث أبي واقد الليثي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (خرجنا مع النبي ﷺ إلىٰ حُنين ونحن حُدثاء عهدٍ بكفر، وللمشركين سدرةٌ يعكفون

**عندها وينوطون بها أسلحتهم يُقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدرةٍ فقلنا: يا رسول الله! اجعل لنا ذات أنواطٍ كما لهم ذات أنواط)، الحديث[١]).**

## الشَّرْحُ

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **(القاعدة الثالثة: أن النبي ﷺ ظهر علىٰ أُناس متفرقين في عباداتهم، منهم من يعبد الملائكة ومنهم من يعبد الأنبياء والصالحين، ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار، ومنهم من يعبد الشمس والقمر، وقاتلهم رسول الله ﷺ ولم يُفرق بينهم).**

فالنبي ﷺ لما بُعث في العرب كانوا متفرقين في عباداتهم، وهذا يدل علىٰ ضلالهم أنهم كانوا يعبدون آلهة متعددة متنوعة، في حين أن أهل الحق وأهل الإسلام لا يعبدون إلا إلهًا واحدًا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فهذا يدل علىٰ أن الإنسان إذا انحرف عن الله وعن الحق تشعب به الشياطين، ويسلك طرقًا كثيرة من طرق الضلال يبحث عن الهدىٰ والحق ولا يجده، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾، صراطي واحد ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾، السبل متفرقة كثيرة ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾

(١) أخرجه الترمذي (٢١٨٠) وأحمد في المسند (٢١٨٩٧).

[الأنعام: ١٥٣]، وقال يوسف لصاحبيه في السجن: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩].

وكون الإنسان يتوجه إلىٰ إله واحد، خيرٌ من أن يتوجه إلىٰ آلهةٍ كثيرة، ولهذا قيل: مصانعة وجهٍ واحد أهون عليك من مصانعة وجوهٍ كثيرة، فإذا صار ليس عندك إلا واحد تُراقبه وتُرضيه، خيرٌ لك من أن تنظر إلىٰ وجوه متعددة وتصانعها وتُجاملها، وتُرضي هذا وتُرضي هذا.

فالمقصود: أن العرب لضلالهم كانوا كلٌ يعبد ما يهوىٰ، ومع ذلك فالنبي ﷺ لم يُفرق بينهم، لم يقل الذين يعبدون الأنبياء خير من الذين يعبدون الأحجار، لم يفرق بينهم ﷺ، فالشرك لا فرق فيه بين عبادة كبيرٍ، أو صغير، أو وضيعٍ، أو رفيع، كل من عبد غير الله ﷻ فهو مُشرك، ولا فرق بين المعبودات.

قال رحمه الله: **(والدليل قوله تعالىٰ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٣])**، الفتنة هنا بمعنىٰ الشرك، ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣]، أي قاتلوا المشركين، وليس هناك تفريق بين هذا المشرك وهذا المشرك، المطلوب أن يكون الدين كله لله تعالىٰ.

قال: **(ودليل الشمس والقمر)**، أي من يعبد الشمس والقمر **(قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن**

﴿كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فُصِّلَتْ: ٣٧])، هذا يدل على أن هناك من كان يعبد الشمس والقمر، والمعروف أن الشمس معبود المجوس، لأن المجوس يعبدون النار، والشمس عندهم هي مصدر النار، ومآل مذهبهم إلى عبادة الشيطان، لأن الشيطان مخلوقٌ من النار، فهم يعبدون الشيطان، ولهذا نهى النبي ﷺ عن الصلاة عند طلوع الشمس، واعتبر هذا وقت نهي أن يُصلي الإنسان عند طلوع الشمس قال: «**فإنها تطلع حين تطلع بين قرني شيطان وحينئذٍ يسجد لها الكفّار**»[(١)]، والشيطان يقف بقرنيه أمام الشمس فيُصلي المشركون له في تلك الجهة عبادة له.

فكان من يعبد الشمس والقمر موجود في زمن النبي ﷺ وكان يعبدها طائفة من العرب يعبدون النجوم والكواكب، لهذا قال الله ﷻ: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ﴾ [النَّجْمِ: ٤٩]، وهو نجم كان يعبده بعض العرب.

قال: (**ودليل الملائكة قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۚ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾** [آلِ عِمْرَانَ: ٨٠])، دل على أن هناك من يعبد الملائكة، والملائكة خلقٌ من خلق الله صالحون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يُؤمرون، يسبحون الليل والنهار لا يفترون، ومع ذلك الله ﷻ لم يأمرنا بعبادتهم.

---

(١) أخرجه مسلم (٨٣٢).

ثم ذكر رَحِمَهُ اللَّهُ دليل الأنبياء، وهو قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ ليس لي حق في العبادة، العبادة حقٌ لله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦]، دل علىٰ أن هناك من يعبد عيسىٰ وأمه، كما هو معلوم، واليهود أيضًا يعبدون عُزيرًا، وهو نبي من الأنبياء.

فهذه الأدلة تدل علىٰ أن هناك من كان يعبد هذه الأصناف.

ثم ذكر دليل الصالحين، وهو قوله تعالىٰ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ [الإسراء: ٥٧]، يعني هؤلاء الذين يدعونهم من الصالحين هم أنفسهم يبتغون إلىٰ ربهم الوسيلة، هم أُناس صالحون، هؤلاء المقبورون الأولياء الذين تسمونهم أولياء، هم أنفسهم كانوا في الدنيا يبتغون إلىٰ ربهم الوسيلة يعني القربة، يتقربون إلىٰ الله بشتىٰ الوسائل من العبادات المتنوعة، كما قال الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥]، أي كل ما يكون وسيلةً تقربكم إلىٰ الله من الوسائل المشروعة ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ فهؤلاء الصالحون كانوا في الدنيا يتنافسون أيهم أقرب إلىٰ الله بالعمل الصالح، ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ

﴿وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٥٧]، يجمعون بين الخوف والرجاء، يرجون رحمة الله ويخافون عذابه.

وهذا دليل علىٰ أن هناك من يعبد الصالحين.

ثم ذكر دليل الأشجار والأحجار: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٩-٢٠].

واللات: حجر في الطائف كان يعبده أهل الطائف وأصله كان رجلًا صالحًا يلت السويق للحاج، فلما مات بنوا علىٰ قبره، ووضعوا عليه حجرًا وصخرة مربعة، ثم نسي الناس هذا المقبور، وصاروا يعبدون هذا الحجر، ولا يدرون ما أصله وما تاريخه.

والعزّىٰ: شجرات ثلاث في وادٍ اسمه وادي نخلة، بين مكة والطائف.

ومناة: أيضًا حجر، سُمي مناة لكثرة ما يُمنىٰ عليه أي: يُراق عليه من دماء القرابين، في قديد، موضع بين مكة والمدينة، في مكان اسمه المشلل.

ثم ذكر حديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال: (**خرجنا مع النبي ﷺ ونحن حُدثاء عهدٍ بكفر** . . .)، غزوة حُنين كانت في السنة الثامنة من الهجرة بعد فتح مكة، أسلم جماعة من أهل مكة ثم خرجوا من النبي ﷺ إلىٰ حنين وهم حدثاء عهد بكفر،

ما يعرفون من الإسلام شيئًا، ومروا في طريقهم علىٰ سدرة للمشركين، يعكفون عندها، ويتبركون بها، وينوطون بها أسلحتهم، أي يعلّقون أسلحتهم رجاء البركة من الشجرة زعموا، يُقال لها: ذات أنواط، يعني ذات تعاليق، يُعقلون علىٰ أغصانها أسلحتهم.

(فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله! اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، قال النبي ﷺ: «**الله أكبر**»، تعجب ﷺ من طلبهم وكبّر ربه وعظمه عن هذا الشرك «**قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسىٰ اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة، إنها السنن، لتركبن سنن من كان قبلكم**»[(١)]، فاعتبر النبي ﷺ اتخاذ الشجرة مثل اتخاذ الآلهة عند بني إسرائيل، لأن المقصود من الآلهة طلب الخير، وطلب النفع، وهذه الشجرة أيضًا يطلبون منها النفع والبركة، فاعتبر هذا الفعل والطلب اتخاذًا لها آلهة.

فدل علىٰ أن هناك من يعبد الأشجار في زمن النبي ﷺ.

---

(١) أخرجه أحمد (٢١٨٩٧).

## المتن

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **(القاعدة الرابعة: أن مشركي زماننا أغلظ شركًا من الأولين، لأن الأولين يشركون في الرخاء ويُخلصون في الشدة، ومشركو زماننا شركهم دائمًا في الرخاء والشدة، والدليل قوله تعالىٰ:** ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]، **والله أعلم وصلّ الله علىٰ محمد.**

## الشرح

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **(القاعدة الرابعة: أن مشركي زماننا أغلظ شركًا من الأولين)** هذه مصيبة، أن الإنسان يعرف ربه وينطق بلا إله إلا الله ويُصلي، ومع ذلك يرتكب من الشرك ما هو أعظم من شرك الأولين نعوذ بالله من ذلك.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **(لأن الأولين كانوا يُشركون في الرخاء ويُخلصون في الشدة)**، وقد ذكر الله عنهم في الشدة أنهم إذا ركبوا في الفلك ثم هاج بهم البحر وماج وخشوا من الغرق أخلصوا لله، فتركوا الآلهة، والأصنام التي كانوا يدعونها، وتوجهوا بالدعاء إلىٰ الله، لأنهم يعرفون أنهم لا يُنجيهم في ذاك الموقف وهذه الشدة إلا الله عَزَّوَجَلَّ، وأن آلهتهم المزعومة هذه لا تنفع.

ولهذا لما ركب بعض المشركين في سفينة ثم هاج بهم البحر وماج قال له أصحابها: إن هذا المحل وهذا الموقف لا يصلح فيه إلا الإخلاص، فكان المشركون إذا كان معهم أصنام أخذوها وألقوها في البحر تعبيرًا عن الكفر بها، ثم لجأوا إلىٰ الله ﷻ ودعوه، فإذا أنجاهم؛ رجعوا إلىٰ عبادة الأصنام ﴿إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾.

لكن مع الأسف، أن بعض مشركي هذا الزمان المتأخر شركهم مستمر في الرخاء وفي الشدة، بل إذا حصل عليهم شدة من الشدائد لجأوا إلىٰ الأموات أكثر من التجائهم قبل ذلك، وهذا يعرفه من يعيشون في بيئات فيها من هذه البدع والشركيات الشيء الكثير.

ذكر العلماء قديمًا وحديثًا أقوالهم في الكتب إذا حصل عليهم شيءٌ من الأمور؛ لجأوا إلىٰ الأموات أكثر، حتىٰ ذكر النعمي في كتابه: معارج الألباب في مناهج الحق والصواب أن امرأةً كُف بصرها ومات ولدها فطلبت العلاج في كل ناحية ولم يكتب لها الشفاء، فذهبت إلىٰ قبر وليها وقالت: أما الله فصنع ما ترىٰ ولم يبق إلا حسبك[1].

(١) معارج الألباب في مناهج الحق والصواب لحسين بن مهدي النعمي (ص٢٠٨) دار الأرقم ١٤٠٨هـ.

نعوذ بالله من هذا الشرك، تقول: الله هو الذي أخذ بصري، ولم يبق إلا حسبك، يعني أنا متوكلة عليك ومتوجهة إليك أن تشفيني.

وغرقت سفينة في البحر الأحمر منذ سنوات اسمها [سفينة السلام] وذكر أحد الذين نجوا من الغرق أن بعض ركاب السفينة لما خشوا من الغرق صاروا ينادون ويهتفون بالبدوي والعياذ بالله!

فالمشركون الأولون في البحر يُخلصون ويدعون الله ﷻ، وهؤلاء ينسون الله ويهتفون وينادون هؤلاء الأموات.

بل ذكر المؤلف رحمه الله أيضًا في كتابه «**كشف الشبهات**» أن مشركي هذا الزمان المتأخر شركهم أفظع من شرك الأولين من جهة أن المشركين المتأخرين يعبدون ويعتقدون في أُناس فسقة ليسوا من أهل الصلاح والخير.

فالأولون يرون أن الصالحين عندهم شيءٌ من الخير والوسيلة والشفاعة، لكن المتأخرين يدعون ويعبدون ويهتفون ويستغيثون بأُناسٍ فسقة لا يُصلون ويعملون الفواحش، فلما ماتوا قيل: هؤلاء أولياء صالحون! ومن أراد أن يبكي علىٰ غربة الإسلام فليطلع علىٰ «طبقات الأولياء» للشعراني أحد المتصوفة، ذكر فيه من هذه الأشياء التي يسميها كرامات الأولياء ما ينكره الأطفال فضلًا عن عُقلاء أهل الإسلام، فلان يمشي عُريان،

ويعتبرون هذا من أولياء الله، وفلان لا يُصلي، ويعتبرون هذا من أولياء الله، وفلان يفعل كذا ويفعل كذا من الفواحش ويقع علىٰ البهائم والعياذ بالله! ويعتبرون هؤلاء من الأولياء الصالحين الذين يُتبرك بهم، فإذا عرفت هذا أدركت غُربة الإسلام، وحاجة الناس إلىٰ نشر الدعوة إلىٰ التوحيد الخالص.

وفق الله الجميع لما يحب ويرضىٰ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

# التوسل الممنوع والمشروع

تأليف

عبدالله بن سليمان آل مهنا

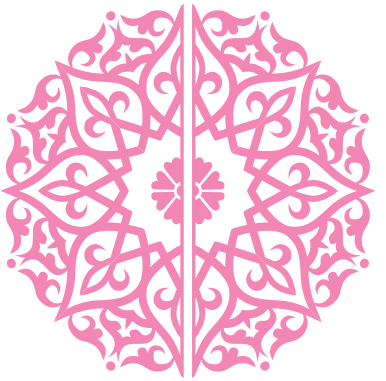

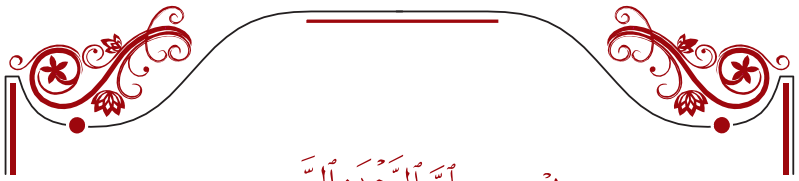

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين، أما بعد:

أخي المسلم

التوسّل من القضايا الكبار التي زلّت بسبب الفهم الخاطئ لها أقدام كثير من المسلمين، فوقع بعضهم في الشرك أو في البدع، وقد قال ﷺ: «**كل بدعة ضلالة**»(١)، فهل يليق بك أيها المسلم أن تخطيء وتنحرف في أعظم واجب عليك وهو التوحيد؟!

وقد بيّن النبي ﷺ الدين كلّه، حتىٰ آداب قضاء الحاجة، و«محال أن يُظن بالنبي ﷺ أنه علّم أمته الاستنجاء ولم يعلمهم التوحيد» كما قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢).

(١) أخرجه مسلم (٨٦٧).

(٢) أحاديث في ذم الكلام وأهله (ص٩٢).

## المفهوم الصحيح للتوسّل

التوسّل هو: اتخاذ الوسائل التي تقرّب الإنسان من الله، وتدنيه من كرمه.

دليل ذلك قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ [المَائِدَة: ٣٥]، ومعنىٰ هذه الآية: (اطلبوا القربة إليه بالعمل بما يرضيه) كما قال ابن جرير الطبري في تفسيره[١]، وقال البيضاوي: (﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾: أي ما تتوسلون به إلىٰ ثوابه والزلفىٰ منه من فعل الطاعات، وترك المعاصي[٢].

(١) (٨/ ٤٠٣).

(٢) أسرار التنزيل (٢/ ١٢٥).

## المفهوم الخاطئ للتوسّل

يعتقد كثير من المسلمين في التوسّل اعتقادًا خاطئًا أضلّهم عن فهم معناه الصحيح، فقد فهموا التوسّل كما سمعوه من سدنة القبور، وهو التقرّب إلىٰ الأموات بالأدعية الشركيّة، والتوسلات المبتدعة، بل حتىٰ تقبيل العتبات التي يسمونها زورًا بـ (المقدّسة)، ويصل الحال ببعضهم إلىٰ الطواف بالقبور، وغير ذلك.

وكل ذلك مفهوم منحرف انحرافًا كبيرًا عن معنىٰ التوسّل الذي أمر الله به.

## هل في التوسّل شيء ممنوع؟

اعلم أخي المسلم أن التفقّه في الدين من علامات إرادة الله بالعبد خيرًا، كما قال النبي ﷺ: «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**» رواه البخاري[(١)].

فلذا ينبغي لك أيها المسلم أن تتعلم الفرق بين التوسّل المشروع والتوسل الممنوع.

(١) (٧١).

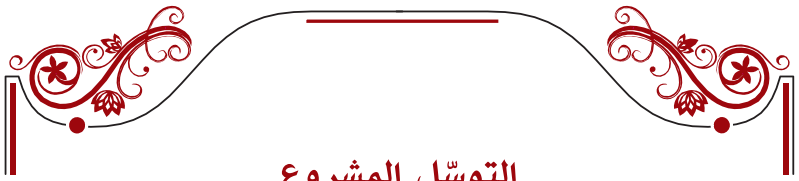

# التوسّل المشروع

## ١- التوسّل بأسماء الله تعالىٰ وصفاته:

قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

مثاله: (أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علّمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن . . .) ثم يذكر حاجته.

مثال آخر: (اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك علىٰ الخلق، أحيني ما علمت الحياة خيرًا لي)، أو تذكر مطلوبًا آخر.

فهذا توسّل إلىٰ الله بصفة العلم، وصفة القدرة.

## ٢- التوسّل إلىٰ الله بالإيمان به وبرسوله ﷺ:

مثاله: قوله تعالىٰ: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣].

مثال آخر: اللهم إني آمنت بك وبرسولك فاغفر لي.

### ٣- التوسّل إلىٰ الله بالعمل الصالح الذي يعمله الإنسان:

مثاله: قصّة الثلاثة الذين أووا إلىٰ غار ليبيتوا فيه، فانطبقت عليهم صخرة لا يستطيعون الخروج من الغار بسببها، فتوسّل كل واحد منهم بعمله الصالح، فالأول توسّل إلىٰ الله ببره بوالديه، والثاني بعفّته عن الحرام، والثالث بوفائه لأجيره، قال كل واحد منهم: (اللهم إن كنت فعل ذلك من أجلك فافرج عنا ما نحن فيه) قال النبي ﷺ: «**فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون**» رواه البخاري[(١)].

### ٤- توسّل العبد إلىٰ الله بذكر ضعفه وحاله:

مثاله: قول زكريا عليه السلام: ﴿إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: ٤].

### ٥- التوسّل إلىٰ الله بدعاء الصالحين:

مثاله: لو طلبت من إنسان تتوسّم فيه الصلاح أن يدعو لك، فإن ذلك توسّل بدعاء الرجل الصالح، وهو جائز، والصحابة رضي الله عنهم طلبوا من النبي ﷺ أن يستغيث لهم لما أجدبت الأرض[(٢)] وطلب عمر رضي الله عنه من العباس رضي الله عنه أن يستغيث لهم، فرفع العباس يديه فدعا الله تعالىٰ بالغيث[(٣)].

---

(١) (٢٢٧٢).

(٢) صحيح البخاري (١٠١٣) صحيح مسلم (٨٩٧).

(٣) صحيح البخاري (٣٧١٠).

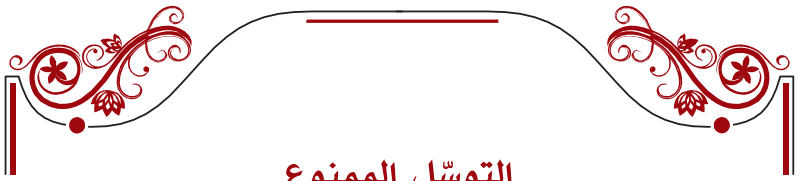

## التوسّل الممنوع

أخي المسلم:

قبل أن أعرّفك علىٰ أنواع التوسّل المحرّم لتحذر منه آمل أن تقرأ هذا الكلام للإمام أبي حنيفة، قال: «لا ينبغي لاحد أن يدعو الله إلا به، والدعاء المأذون فيه المأمور به ما استفيد من قوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٨٠][(١)].

(١) الدر المختار شرح تنوير الأبصار (ص٦٦٢).

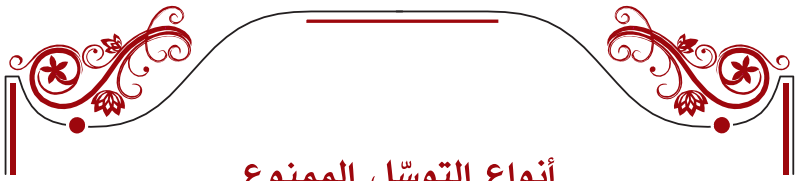

## أنواع التوسّل الممنوع

### ١- التوسل إلىٰ الله بذات أو شخص المخلوق:

مثاله: اللهم إني أتوسل إليك بفلان أن تقضي حاجتي.

مثال آخر: اللهم إني أسألك بنبيّك أن تغفر لي.

قال الإمام أبو حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ: لا يسأل بمخلوق[(١)].

### ٢- التوسّل إلىٰ الله بجاه المخلوق أو حقّه أو حرمته:

مثاله: اللهم إني أتوسّل إليك بجاه فلان عندك، أو بحقّه عليك أن تغفر لي.

قال أبو حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأكره أن يقول: بمعقد العزّ من عرشك، أو بحق خلقك)[(٢)].

وبيّن كلامه القدوري فقال: (أما المسألة بخلقه فلا تجوز؛ لأنه لا حق للخلق علىٰ الخالق . . .)[(٣)].

---

(١) الفتاوىٰ الهندية (٥/ ٢٨٠)، والفتاوىٰ البزازية (٣/ ٣٥١).

(٢) شرح الفقه الأكبر (ص١٩٨).

(٣) شرح مختصر الكرخي (٩/ ٣٢٧).

**٣- الإقسام على الله بالمتوسّل به:**

مثاله: اللهم إني أقسم عليك بفلان أن تفعل كذا وكذا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (الْإِقْسَامَ عَلَىٰ اللَّهِ بِالْمَلَائِكَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ أَمْرٌ لَمْ يَرِدْ بِهِ كِتَابٌ وَلَا سُنَّةٌ، بَلْ قَدْ نَصَّ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ -كَأَبِي حَنِيفَةَ وَأَبِي يُوسُفَ وَغَيْرِهِمَا- عَلَىٰ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُقْسَمَ عَلَىٰ اللَّهِ بِمَخْلُوقٍ)[١].

**٤- التوسّل إلىٰ الله بدعاء ميّت، فيطلب منه أن يدعو الله له، وهذا من أخطرها لأنه شرك أكبر مخرج من ملة الإسلام.**

مثاله: يا نبي الله سل لي المغفرة، أو: اسأل الله تعالىٰ أن يشفي ولدي، ومثل ذلك بل أشد منه: أغثني يا رسول الله، أو: نظرة عين يا حسين، أو: مدد يا بدوي، أو: يا أهل الله خذوا بالكم معانا، أو: راعونا نحن في حسبكم.

وكل هذه الأنواع الأربعة في التوسل لا يجوز الدعاء بها، فإنها لم ترد عن النبي ﷺ، ولا عن أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وبعضها شرك والعياذ بالله، ومن المعلوم أنه لا يجوز أن يتعبّد المسلم لله بعبادة إلا إذا كانت واردة عنه ﷺ، أما غير ذلك فمردود علىٰ صاحبه؛ لقوله ﷺ: «**من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد**»[٢] أي: مردود غير مقبول.

---

(١) منهاج السنة النبوية (٧/ ١٣٢).

(٢) صحيح مسلم (١٧١٨).

**فائدة:**

قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النِّسَاء: ٦٤] لا يفيد جواز التوسّل بالرسول ﷺ بعد مماته كما يفعله بعض الناس، ويحتجون بالآية.

قال العلماء: فإن (إذ) ظرف لما مضىٰ، وليست ظرفًا للمستقبل، فلم يقل الله: ﴿ولو أنهم إذا ظلموا﴾ بل قال: (إذ)، فالآية تتحدّث عن أمر وقع في حياة النبي ﷺ، واستغفار الرسول ﷺ بعد مماته أمر متعذّر؛ لأنه «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث . . .**» كما ورد في الحديث[1]، فلا يمكن لإنسان بعد موته أن يستغفر لنفسه فضلا عن غيره.

(١) صحيح مسلم (٢٦٨٢)، سنن الترمذي (١٣٧٦).

## أحاديث في التوسل تحتاج إلى إيضاح

يستدل بعض الناس علىٰ جواز التوسّل بذوات الأشخاص **بحديث** توسّل عمر رضي الله عنه بالعبّاس عم النبي ﷺ الذي تقدّمت الإشارة إليه[(١)]، ومعنىٰ الحديث: أن عمر رضي الله عنه كان يطلب من العباس رضي الله عنه -وكان رجلًا صالحًا- أن يدعو الله لهم بالسقيا، وقد فعل رضي الله عنه فسقوا[(٢)]، فهذا يدل علىٰ جواز التوسّل بدعاء الصالحين لا بذواتهم.

**حديث**: «**لو اعتقد أحدكم في حجر لنفعه**» كذب علىٰ رسول الله ﷺ لا أصل له[(٣)].

**حديث**: «**إذا سألتم الله فاسألوه بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم**» كذب موضوع[(٤)].

يدل **حديث** عمر رضي الله عنه حين جاء إلىٰ الحجر الأسود فقبّله، فقال: (إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت

(١) صحيح البخاري (٣٧١٠).
(٢) انظر: التمهيد لابن عبد البر (١٥/ ٣٩٦).
(٣) انظر: المقاصد الحسنة للسخاوي (٤/ ٢٤١).
(٤) السنن والمبتدعات (ص٢٦٥).

النبي ﷺ يقبلك ما قبلتك) على التوسّل باتباع سنّة رسول الله ﷺ، وأن المسلم لا يعتقد في الحجر شيئا من الاعتقادات التي قد يتوهمها بعض الناس.

وبالله التوفيق، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

# فہرس

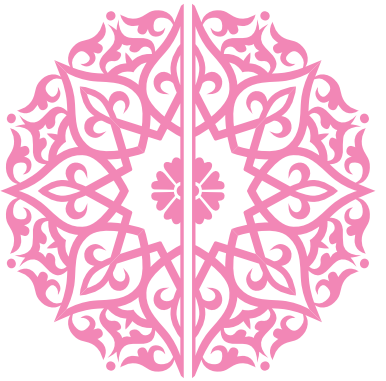

# الفهرس


| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| **توضيح القواعد الأربع** | ٥ |
| القاعدة الأولىٰ | ٢٦ |
| القاعدة الثانية | ٢٩ |
| القاعدة الثالثة | ٤٢ |
| القاعدة الرابعة | ٤٩ |
| **التوسُّل الممنوع والمشروع** | ٥٣ |
| مقدمة | ٥٥ |
| المفهوم الصحيح للتوسّل | ٥٦ |
| المفهوم الخاطئ للتوسّل | ٥٧ |
| هل في التوسّل شيء ممنوع؟ | ٥٨ |
| التوسّل المشروع | ٥٩ |
| ١- التوسّل بأسماء الله تعالىٰ وصفاته | ٥٩ |
| ٢- التوسّل إلىٰ الله بالإيمان به وبرسوله ﷺ | ٥٩ |
| ٣- التوسّل إلىٰ الله بالعمل الصالح الذي يعمله الإنسان | ٦٠ |
| ٤- توسّل العبد إلىٰ الله بذكر ضعفه وحاله | ٦٠ |
| ٥- التوسّل إلىٰ الله بدعاء الصالحين | ٦٠ |
| التوسّل الممنوع | ٦١ |

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|

أنواع التوسّل الممنوع ..... ٦٢
١- التوسل إلىٰ الله بذات أو شخص المخلوق ..... ٦٢
٢- التوسّل إلىٰ الله بجاه المخلوق أو حقّه أو حرمته ..... ٦٢
٣- الإقسام علىٰ الله بالمتوسّل به ..... ٦٣
٤- التوسّل إلىٰ الله بدعاء ميّت، فيطلب منه أن يدعو الله له، وهذا من أخطرها لأنه شرك أكبر مخرج من ملة الإسلام ..... ٦٣
فائدة ..... ٦٤
أحاديث في التوسل تحتاج إلىٰ إيضاح ..... ٦٥
الفهرس ..... ٦٩

9 780201 379716